

دقة الوصف

عند الإمام

علي (ع)

في

نهجه



السيد هادي عيسى الحكيم

وكانت دقة ملاحظته تجعله محيطاً إحاطة مدهشة بسمات الشيء الباطنية قبل الظاهرة وعلي بن أبي طالب (ع) تميز بقوة ملاحظة نادرة ثم بذاكرة واعية تخزن وتتسع فتيسرت له من ذلك جميعاً عناصر قوية تغذي فكره وتقوي خياله فتسهل عليه محاكمة الأشياء والمقارنة بين عناصرها لإثبات أوجهها وأفضلها للبقاء والتعميم. فليس مستغرباً إذن على مثل علي بن أبي طالب (ع) أن يصف لنا ذلك الوصف الرائع لبعض الحيوان.

قال عليه السلام يصف النملة:

(أنظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافتها

يقول محمد محي الدين عبد الحميد في مقدمة تحقيق نهج البلاغة: (أن فيه من دقة الوصف واستفراغ صفات الموصوف وإحكام الفكرة وبلوغ النهاية في التدقيق كما تراه في وصف الخفاش والطاووس والنملة والجرادة وكل ذلك لم يلتفت إليه علماء الصدر الأول من الإسلام ولا أدباؤهم ولا شعراؤهم، وإنما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس الأدبية والحكمية).

إن الإمام علي بن أبي طالب (ع) كان يستعين بذاكرة قوية وقدرة هائلة على اختزان صور الناس والطبيعة وأخبار البشر وأوصاف الأشياء

أرتفعت لا يفارقها حتى تشتد أركانها ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه فسبحان الباري لكل شيء على غير مثال (فلا من غيره).

وقال عليه السلام يصف الجرادة:

(وإن شئت قلت في الجرادة إذ خلق الله لها عينين حمراوين وأسرج لها حدقتين قمرأوين وجعل لها السمع الخفي وفتح لها الفم السوي وجعل الحس القوي ونابين بهما تقرض من ومنجلين بهما تقبض يرهبها الزراع في زراعهم ولا يستطيعون ذبها ولو أجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث في نزواتها وتقضي منه شهواتها وخلقتها كله لا يكون إصبعا مستدقة).

وقال عليه السلام يصف الطاووس:

(ويمشي مشي المرح المختال ويتصفح ذنبه وجناحه فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله وأصاييغ وشاحه فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا معولا وقد نجمت من طنابوز ساقه صيصيه خفيفة وله في مواضع العرف قنزعته خضراء موشاة ومخرج عنقه كالأبريق ومغرزها إلى حيث بطنه كصيف الوسمه البانية أو كحريرة ملبسة مرآة ذات سقال) ثم (ولو كان كزعم من زعم أنه يلقيح بدمعة تسفحها مدامعه فتقف في ضفتي جفونه وأن أنثاه تطعم لذلك ثم تبيض لا من لقاح فحول سوى الدمع المنحبس لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب).

هذا فضلا عن وصفه الأرض بأنهارها وجبالها وهضابها ومنبطحاتها والسماء ونجومها وما فيها من عجائب الخلق ودقائق الصنعة ان دقة الوصف تلك من لدن الأمام علي (ع) تعد مفخرة لحضارتنا الغربية والأسلامية ان يبرز فيها مثل علي بن ابي طالب (ع) وهو يحمل في تلافيف دماغه الشريف خوارق عقلية وفكرية عجيبة يظل التاريخ مهما امتد واتسع يذكرها بفخر واعتزاز ولا ننسى هنا قول النبي الكريم (ص) (انا مدينة العلم وعلي بابها).

هياتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدق الفكر وكيف دبّت على أرضها وصبت على رزقها تنقل الحبة الى جحرها وتعدها في مستقرها وتجمع في حرها لبردها وفي وردها لصدرها مكفولة برزها مرزوقة بوقفها لا يغفلها المناف ولا يحرمها الديان ولو في الصفا اليابس والحجر والجامس ولو فكرت في مجاري أكلها وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شر اسيف بطنها وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجا و لقيت من وصفها تبعا ولو حزبت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة إلا على ان فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق تفصيل كل شيء وغامض اختلاف كل حي)

وقال عليه السلام يصف الخفاش:

(ومن لطائف صنعته وعجائب حكيمته ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي وكيف عشيبت اعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نورا تهدي به في مذاهبها وتصل بعلائية برهان الشمس إلى معارفها وردعها بتألؤ ضيائها عن المضي في سباحات إشراقها وأكنها في مكانها عن الذهاب في بلج أنتلاقها فهي مسدلة الجفونه في النهار عن أحداقها جاعلة الليل سراجا تستدل به في التماس أرزاقها فلا يرد أبصارها أسداف ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته فإذا ألفت الشمس قناعها وبدت أوضاع نهارها ودخل من إشراق نورها على الضباب في وجارها أطبقت الأجنان على مآقيها وتبلغت بما أكتسبت من فيء ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل لها نهارا ومعاشا والنهار سكونا وقرارا وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة الى الطيران كأنها شظايا الأذان غير ذوات ريش ولا قصب إلا أنك ترى مواضع للعروق بسينة أعلاما لها جناحان لما يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلوا وولدها لاصق بها لاجئ اليها يقع إذا وقعت ويرتفع إذا